ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

انتفاضة القدس.. أبعاد جديدة

عبير حسن بسّام

الأسئلة الصعبة التي نسألها اليوم، فلسطين نحن وإيّاك إلى أين نمضي؟ يكبر قلبنا حتى يسع العالم كلّه ونحن نرى امتداد المقاومة من حي الشيخ الجراح إلى الضفة الغربية إلى غزة. وفلسطين كلها تقف وقفة رجل واحد؛ تهب من أجل حماية بيوت الفلسطينيين، ونحن نعلم أن هدم البيوت المتعاظم في غزة والضفة والقطاع كان يذبح الجميع في القدس والأراضي المحتلة منذ العام ١٩٤٨. أن تحمي بيتك، يعني أن تحمي عائلتك وأرضك ووجودك على هذه الأرض. ولكن أن يصرخ المتظاهرون في القدس: يا فدائي عيد الكرة! ومنشان اللّه، يا غزة يلا! وأن يبدأ قتال الشوارع في اللد، فهذا أمر آخر.

قرار الإسرائيلي بإخلاء بيوت حي الشيخ الجراح «جاء بآخرته»، لأن الألم الفلسطيني قد بلغ الزبى! ثلاثة وسبعون عاماً، في كل يوم منها تعاطى الصهاينة مع العرب والفلسطينيين بإجرام وصلف وقح. صلف مدعوم دولياً، ولن نقول عربياً، بل بخونة العربان المطبعين. تشهد الجولة الأخيرة على صليات صواريخ المقاومة وهي تنزل كما «زخ الشتا»، ويحضر هنا الأخوان الرحباني في مسرحية ناطورة المفاتيح، حين يقول الحكيم للملك الظالم أن غضب الناس يشبه «نقط الشتي المجمعة» ولا أحد يعرف من أين وكيف تنفجر المياه. والأغبياء جميعاً ظنوا أنها لن تنفجر في فلسطين وظنوا أنها مستعمرة جديدة في أمريكا أو أوقيانوسيا. وتناسوا أن تاريخنا النضالي الطويل ضدهم هو ما يصنعنا، وأن عليهم أن يتعلموا درس المئة عام في الجزائر، وأن الشعب العربي الحرّ لا ينام على الضيم.

واليوم ونحن نقترب من ذكرى النكبة في ١٥ أيار الأليم، معطيات متراكمة باتت تطرح أسئلة كثيرة في فلسطين وفي أولها؛ هل بدأنا معركة العد العكسي لنهاية الدولة المارقة في فلسطين؟ هل اقترب اليوم الذي ستصبح فيه نكبة فلسطين ذكرى أليمة نتعلم منها درساً بوضع استراتيجيتنا؟ ونضع خطة احتفالات انتصار يشبه ما شهدناه في بداية القرن العشرين؟ هل ستكتب فلسطين انتصاراً في ٢٥ أيار؟ شهر أيار، وما أدراك ما شهر أيار!

نحن لا نخاف عندما تقاتل فلسطين من بحرها إلى نهرها الغزاة شذاذ الأفاق، ولكن ما كنا نخافه ويقبض على أنفاسنا هو ضياع القضية الكبرى الجامعة للعرب والمسلمين، فالتخلي عن القضية الفلسطينية يهزمنا من الداخل، فلسطين التي لطالما جمعتنا نحن العرب مع أخوة السلاح الذين جاؤوا من جميع البلاد العربية للقتال إلى جانب الفدائيين في كل مكان. وما حدث اليوم في فلسطين ابتداء من انتفاضة الثورة في حي الجراح، ستبدد آمال الإسرائيلي بانهزام «القومية العربية»،

لأن القضية العربية الكبرى كانت وما زالت فلسطين، واتفاقيات التطبيع لم تكن المسمار الأخير في نعش القضية الفلسطينية، وإنما المسمار الأخير في نعش الكيان المارق المسمى «اسرائيل». والبارحة مثلا، عادت CNN لتتحدث عن الشعب العربي، بعد أن تناسوه لزمن طويل. اذ عادت الحياة إليه بعد أن شردته اتفاقيات السلام والتطبيع مع الصهاينة.

نحن لا نخاف على فلسطين اليوم من الثورة! ولكن نخاف عليها من أوسلو آخر بعد أن جاء ٤٠ قنصلاً أوروبياً يوم الثلاثاء للوقوف على وضع حي الشيخ الجراح. زيارة يجب قراءتها جيداً. أولا، هي زيارة لم تأت من أجل حقوق المقدسيين في بيوتهم، بل جاءت من أجل تطويق الثورة التي اشتعلت في فلسطين وحماية الصهاينة المستوطنين «اليهود المساكين المضطهدين». وهي زيارة لن تأخذ بالحسبان جميع الفلسطينيين الذين أخرجوا من بيوتهم وهدمتها الجرافات الصهيونية أمام عيونهم فرادى، بينما يعود الصهاينة لتذكيرنا بأن ١٥ أيار، ذكرى تشريد الفلسطينيين جماعات، بالتآمر مع فاروق مصر وعبد اللّه شرق الأردن، عربان العرب آنذاك؛ ومن لديه شك فليقرأ مذكرات القائد فوزي القاوقجي من جديد. وثانياً، زيارات الأوروبيين هي من أجل تطويق الآمال التي وصلت أوجها مع انتفاضة القدس وانتفاضة حي الشيخ الجراح، وحصار المعتصمين في باحات المسجد الأقصى الذين حاول الصهاينة حرقهم وقتلهم في مسجد قبة الصخرة ومنع المساعدات الطبية.

إنها مجازر جماعية من جديد، تعيد ذكرى مجزرة الحرم الإبراهيمي في العام ١٩٩٤، وحرق المسجد الأقصى في العام ١٦٦٩. هم يظنون أن العرب لا يقرؤون التاريخ، ولكنهم نسوا أن العرب اليوم يكتبون التاريخ بأيديهم، والمظاهرات التي انطلقت في كل مكان تشهد على قدرة فلسطين على توحيدنا. والمفارقة أن تبدأ معارك تحرير القدس في شهر أيّار، الشهر الذي شهد معارك المقاومة والخيانة لفلسطين في العام ١٩٤٨، وإعلان قيامة دولة «اسرائيل»، اذ يسجل في هذا الشهر العام «الثالث والسبعين» لاحتلال القدس. مفارقة تذكر بجميع المجازر التي قامت بها العصابات الصهيونية خلال شهر ايار ١٩٤٨ في كل قرية قاومتهم حتى الرصاصة الأخيرة. ولذا يجب الحذر من تحويل الانتباه وتوجيه المفاوضات لتصبح مفاوضات حول قضية حي الشيخ الجراح، إلى الحديث عن مفاوضات حول وقف العدوان على غزة، فالإسرائيلي لا يستطيع قصف حي الشيخ الجراح في القدس لوقف انتفاضة القدس، ولا يستطيع قصف المسجد الأقصى، ولكنه يجد أن المنفذ الوحيد له هو في قصف غزة.

على المقلب الآخر، هناك نقاط هامة ومحددة علينا قراءتها وبكل موضوعية. ومنها، ما حذر منه الأمين العام لحزب اللّه سماحة السيد حسن نصر اللّه الصهاينة من التمادي في خطابه بمناسبة يوم القدس، وذكرهم بالخطوط الحمراء التي حددتها استراتيجية الردع التي صنعتها المقاومة في لبنان، ومن أي تعدٍّ على لبنان خلال المناورة الكبرى التي كان ينوي القيام بها، وسأل سيد المقاومة عما إذا كانت القبة الحديدية قادرة على صد صواريخ المقاومة الكثيفة والمتنوعة؟ كان السؤال استراتيجيًا هامًا وفي موقعه! لم ينتظر السيد الجواب طويلاً. فقد جاء الجواب جلياً مع الصواريخ التي أطلقتها غزة، ومن قبل جميع الفصائل، جواب بث الرعب بين الصهاينة، وجعلهم يسكنون الجحور كما الفئران تحت الأرض.

النقطة الثانية، هي الأهداف الدقيقة التي حددتها المقاومة منذ زمن، ابتداء بقصف المستوطنات رداً على قصف الفلسطينيين العزل في غزة، وأنابيب البترول الواصلة من خليج إيلات إلى عسقلان ومينائها، إلى قصف تل أبيب ومطار بن غوريون والنقب. لقد شلت المقاومة وحدها الكيان الغاصب خلال ٣ أيام فقط. والصهاينة لا يستطيعون الرّد إلّا في غزة الأبية، لأن الضفة الغربية كلها منطقة استراتيجية، وخاصة منطقة غوشدان ما بين الضفة الغربية والبحر، وصفد يسكنها أغنياء الصهاينة من الأشكناز، والذين جاءت منهم جميع القيادات الصهيونية، وهي تحت مرمى الصواريخ الدقيقة.

والنقطة الثالثة، يجب عدم الاستهانة بـ«معادلة الردع» التي تفرضها المقاومة الفلسطينية اليوم، عندما سيفرض على الصهاينة تحييد المدنيين وبيوتهم الآمنة في كل فلسطين. معركة اليوم، تذكرنا بما فرضته المقاومة في لبنان من تحييد للمدنيين والمنشآت في لبنان بعد عدوان نيسان ١٩٩٦. وهي المعادلة التي مهدت الطريق بعد أربع سنوات لتحرير جنوب لبنان.

نعم نحن نقرأ التاريخ، ونحن نتمحص في قراءة تاريخ نضال شعبنا العربي عامة والفلسطيني خاصة مع الاستعمار الأوروبي، والذي يأتي اليوم باسم الأميركي والصهيوني والتكفيري والإرهابي، وغيرها من أشكال العدوان التي تجتاح منطقتنا العربية منذ العام ٢٠٠٠ وحتى اليوم. ولكن المقاومات العربية في سوريا ولبنان والعراق واليمن واليوم في فلسطين قالت كلمتها، وستكون هي الكلمة الفصل لأنّها معمدة بالدم. ولكن ما يحدث اليوم في فلسطين مختلف، فهي القضية الكبرى والأساس، وصمود الشعب العربي الفلسطيني بكل أطيافه في القدس، يكتب صمود الشعب العربي في كل مكان، نحن شعب قد يكون قلب عروبتنا النابض في سوريا ولكن شرايينه لا تهدر إلاّ من القدس، وهي معادلة يجب أن يعرفها الجميع، وصواريخ الكورنيت التي وحدتنا ما زالت تشهد.

إسرائيل هُزمت... كيف المخرج؟

يحيى دبوق

تنتهي جولة التصعيد، هذه المرّة، بين الاحتلال والفلسطينيين، بنتيجة واضحة جدّاً، تتبلور شيئاً فشيئاً، وإن لم يولد قرار التهدئة بعد، أو تأجّل أياماً. هذه النتيجة، التي يمكن البناء عليها مستقبلاً، تتمثّل في هنا، وتحديداً في القدس وأراضي ١٩٤٨، هي أن القضية الفلسطينية لا تزال حيّة لدى الجيل الصاعد، خلافاً لما راهن عليه العدو من إمكانية أن ينسى هذا الجيل قضيّته، ويقبل بالاحتلال باعتباره واقعاً قائماً

لا يمكن صدّه. بدا واضحاً، بالنسبة إلى العدو، أن محاولاته في هذا الاتجاه فشلت، وأن الشابّ الفلسطيني الذي لم يعاين النكبة وتقهقر الحكام العرب في حروبهم ضدّ إسرائيل، يزداد اندفاعاً للتمسّك بأرضه ووطنه ومقدّساته. وتلك نتيجة يمكن البناء عليها، هي الأخرى، في مسار تدعيم الاقتدار الفلسطيني، وحماية الحقوق، وإدامة القضية ما دام الاحتلال قائماً. في الموازاة، فهم العدو أن اتجاهات التطبيع لدى الحكّام العرب، والاحتلاف معه في جبهة واحدة ضدّ محور المقاومة، لا محلّ لها في ميدان فلسطين ووجدانها، حيث البوصلة لا تزال على ما هي عليه، وقد ظهر تعزّزها لدى الجيل الجديد

قاعدة اشتباك جديدة غير مكتوبة، تُفرض فرضاً على الاحتلال، وتبدو قادرة نسبياً على حماية الحقوق الفلسطينية في الضفّة والقدس المحتلّتَين، إن أُحسن استخدامها. وتُختصر تلك القاعدة بتدخُّل قطاع غزة عسكرياً، أو إمكانية تدخُّله، في أيّ تصعيد ضدّ الأراضي المحتلّة، وهو ما سيكون حاضراً على طاولة أصحاب القرار في تل أبيب، لدى اتخاذهم أيّ قرارات عدائية تستهدف سلب حقوق الفلسطينيين، كما كانت عليه الحال في حيّ الشيخ جرّاح، الذي استدعت قضيّته تحرّكاً احتجاجياً من المقدسيين، أعقبه اصطفاف الغزّيين إلى جانبهم.

ولعلّ أهمّ رسالة يمكن الحديث عنها قاعدة اشتباك جديدة غير مكتوبة، تُفرض فرضاً على الاحتلال، وتبدو قادرة نسبياً على حماية الحقوق الفلسطينية في الضفّة والقدس المحتلّتَين، إن أُحسن استخدامها. وتُختصر تلك القاعدة بتدخُّل قطاع غزة عسكرياً، أو إمكانية تدخُّله، في أيّ تصعيد ضدّ الأراضي المحتلّة، وهو ما سيكون حاضراً على طاولة أصحاب القرار في تل أبيب، لدى اتخاذهم أيّ قرارات عدائية تستهدف سلب حقوق الفلسطينيين، كما كانت عليه الحال في حيّ الشيخ جرّاح، الذي استدعت قضيّته تحرّكاً احتجاجياً من المقدسيين، أعقبه اصطفاف الغزّيين إلى جانبهم.

ولعلّ أهمّ رسالة يمكن الحديث عنها هي أن الاحتلال، بعد أن كان يعتقد أن تهديد غزة بالاجتياح البرّي كافٍ لردع المقاومة، بات يدرك أن هذا التهديد لم يعد كافياً، وأن عليه أن يأخذ في الحسبان أن أيّ اجتياح بري لغزة، سيكون مكلفاً جداً، وأن الأثمان التي سيدفعها ستكون باهظة، وأن الأهداف التي يمكن تحقيقها من وراء هذا الاجتياح، لن تكون كافية لتبرير الثمن الذي سيدفعه. وهو ما يفسّر، إلى حدّ كبير، الامتناع الإسرائيلي عن تنفيذ هذا التهديد، على الرغم من أن المقاومة لم تكن تتوقّع أن يتراجع العدو عن تنفيذه، وهو ما ظهر في تصريحات قادة المقاومة، وفي مقدمتهم الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله، الذي أكّد أن المقاومة كانت تتوقّع أن يقدم العدو على اجتياح بري لغزة، وأنها كانت مستعدة لمواجهته.

وفي الساحة الفلسطينية، يبدو جليّاً أن العودة إلى الاتحاد، ورفض تجزئة الفلسطينيين وتقسيم تطلّعاتهم وأهدافهم ومصيرهم، هي السبيل الأوحد، وربّما الأمضى، لاستعادة الحقوق وحمايتها، بالاستناد إلى الاصطفاف الجماهيري إلى جانب المقاومة المسلّحة، التي تستخدم سلاحها وتُهدّد باستخدامه مع إرادة وقرار مسبقَين بتنفيذ التهديدات، لمساندة التحرّك الشعبي الرافض لإجراءات الاحتلال واعتداءاته، إضافة إلى دورها الحمائي للقضية الفلسطينية نفسها، التي لو تُركت لأيدي السلطة الفلسطينية، لما كان العدو ليجد ما يثنيه أو يدفعه إلى التفكير مرّتين، قبل اتخاذه قراراته العدائية.

سيكون العدو معنيّاً بأن يرفض الإقرار بأيّ تفاهمات مرتبطة بالتصعيد الحالي

في الجانب الإسرائيلي، تكثر الأسئلة التي تتعدّد إجاباتها وتتشابك: ما هو المخرج السياسي من جولة التصعيد الحالية؟ ومتى وكيف يمكن لإسرائيل إنهاؤها؟ هل بات أيّ قرار عدائي يصدر عن تل أبيب يستلزم تدخّلاً جماهيرياً، وفي أعقابه تدخّلاً عسكرياً في غزة؟ هذا السؤال الأخير هو أكثر ما يشغل بال صاحب القرار في تل أبيب، وهو ما يعمل عليه الآن، إن باتجاه منع تثبيت تلك المعادلة، أو أقلّه الحدّ من تأثيراتها على مجمل الوضع القائم بين إسرائيل والفلسطينيين. على ذلك، جاء القرار الإسرائيلي الذي كان يتجاذبه اتجاهان: الانكفاء المسبق قبل أيّ تصعيد عسكري مع غزة، بما يؤدّي إلى تراجع فلسطيني الرافض للتعايش مع الاحتلال.

في الساحة الفلسطينية، يبدو جليّاً أن العودة إلى الاتحاد، ورفض تجزئة الفلسطينيين وتقسيم تطلّعاتهم وأهدافهم ومصيرهم، هي السبيل الأوحد، وربّما الأمضى، لاستعادة الحقوق وحمايتها، بالاستناد إلى الاصطفاف الجماهيري إلى جانب المقاومة المسلّحة، التي تستخدم سلاحها وتُهدّد باستخدامه مع إرادة وقرار مسبقَين بتنفيذ التهديدات، لمساندة التحرّك الشعبي الرافض لإجراءات الاحتلال واعتداءاته، إضافة إلى دورها الحمائي للقضية الفلسطينية نفسها، التي لو تُركت لأيدي السلطة الفلسطينية، لما كان العدو ليجد ما يثنيه أو يدفعه إلى التفكير مرّتين، قبل اتخاذه قراراته العدائية.

سيكون العدو معنيّاً بأن يرفض الإقرار بأيّ تفاهمات مرتبطة بالتصعيد الحالي

في الجانب الإسرائيلي، تكثر الأسئلة التي تتعدّد إجاباتها وتتشابك: ما هو المخرج السياسي من جولة التصعيد الحالية؟ ومتى وكيف يمكن لإسرائيل إنهاؤها؟ هل بات أيّ قرار عدائي يصدر عن تل أبيب يستلزم تدخّلاً جماهيرياً، وفي أعقابه تدخّلاً عسكرياً في غزة؟ هذا السؤال الأخير هو أكثر ما يشغل بال صاحب القرار في تل أبيب، وهو ما يعمل عليه الآن، إن باتجاه منع تثبيت تلك المعادلة، أو أقلّه الحدّ من تأثيراتها على مجمل الوضع القائم بين إسرائيل والفلسطينيين. على ذلك، جاء القرار الإسرائيلي الذي كان يتجاذبه اتجاهان: الانكفاء المسبق قبل أيّ تصعيد عسكري مع غزة، بما يؤدّي إلى تراجع فلسطيني في القدس وغيرها من المناطق الفلسطينية المحتلّة المجزّأة جغرافياً، وبما يدفع القطاع إلى الامتناع عن تنفيذ ما يهدّد به. وتكمن أهمّية هذا الاتجاه في أنه كان سيؤمّن لإسرائيل هدوءاً فورياً على المدى القصير، ويُجنّبها مواجهة ليست في مصلحتها في هذه الفترة، التي تكثر فيها التحدّيات الأمنية وغير الأمنية، سواء في الإقليم، القريب أو البعيد نسبياً، أو في ما يتعلّق بوضعها الداخلي المتأزّم. لكن في المقابل، ثمّة تهديدات يكتنفها الخيار المذكور على المدى الطويل، تتمثّل في إمكانية أن يتسبّب بتثبيت قاعدة اشتباك جديدة، صلبة جدّاً، تدفع الفلسطينيين إلى تكرار ما فعلوه الآن، دائماً، لحماية حقوقهم.

هذا الاتجاه، الذي كان حاضراً على طاولة القرار في تل أبيب قبيل التصعيد الأخير، تَبيّن أن القرار الإسرائيلي ابتعد عنه في نهاية المطاف، ليميل إلى اعتماد اتجاه آخر، هو تدفيع الفلسطينيين ثمناً ما، يكون حاضراً لديهم في حال أراد الكيان العبري إعادة تفعيل اعتداءاته. يعني ذلك، باختصار، معاندة الواقع، وإن تسبّبت بمواجهة يُحرَص على أن تكون محدودة نسبياً، بما يسمح بتدفيع الفلسطينيين ثمن قاعدة الاشتباك الجديدة التي باتت متشكّلة فعلاً، لمنعهم لاحقاً من تفعيل قدراتهم العسكرية في غزة أو التهديد بها. وإن لم تؤدّ جولة التصعيد الحالية إلى ردع الفلسطينيين عن تفعيل القاعدة المذكورة لأهداف حمائية في القدس والضفة، فالأمل بأن تحدّ من فرص استخدامها. بناءً على ما تَقدّم، كان الخيار أياماً قتالية، سيدفع خلالها العدو ثمناً نسبياً، كان في ذاته ليدفعه إلى الامتناع عن التصعيد، لولا التهديد الكامن فيه على المدى الطويل. ومن هنا، يمكن تفسير كلام وزير الأمن، بني غانتس، عن «الفائدة الطويلة الأمد».

هل يعني ما تَقدّم أن قرار إعلان انتهاء المواجهة بات قريباً؟ هو كذلك بالفعل، لكن مشكلة الاحتلال تكمن في كيفية إخراج القرار، والتي تُعدّ في ذاتها جزءاً لا يتجزّأ من النتيجة نفسها. من هنا، سيكون العدو معنيّاً بأن يرفض الإقرار بأيّ تفاهمات مرتبطة بالتصعيد الحالي، سواء في ما يتعلّق بقراراته العدائية في القدس، بما يشمل حيّ الشيخ جراح والمسجد الأقصى، أو في وقف إطلاق النار مع قطاع غزة. ولذا، من المقدَّر أن يعمد الاحتلال إلى الحديث عن «الهدوء مقابل الهدوء»، وإن كان هو قد بدأ بحثّ «الوسطاء العرب» على الدفع باتجاه التهدئة مقابل تراجعه عن قراراته العدائية. في الوقت نفسه، سيسعى قادة العدو إلى تجميل انكفائهم في القدس، أمام الرأي العام الإسرائيلي وتحديداً المستوطنين، كي يقي نفسه تداعيات سلبية على الجبهة الداخلية، حيث احتدام الصراع السياسي قد يؤدي إلى انتخابات خامسة جديدة، وهو ما يتطلّب من الساسة تحسين صورتهم لكسب الأصوات في صناديق الاقتراع. وعليه، سيُعمل على فكّ الربط بين أيّ قرارات انكفائية والتصعيد مع غزة، وهو ما يَصعب تصوُّر نجاحه. وفقاً لكل ذلك، قد يأتي قرار التهدئة سريعاً، وقد يتأخّر أياماً إضافية. إذ إن الواقع الميداني الحالي يمثّل مصداقاً لإمكانية «التدحرج الميداني» نحو مواجهة واسعة لا يريدها طرفاها، وخاصة في ظلّ معادلة القوة القائمة بين الجانبين، والتي تسمح لطرف دون آخر بمزيد من التصعيد من أجل تحصيل فائدة سياسية لاحقة.

في المحصّلة، يمكن القول من الآن، وقبل وقف إطلاق النار، إن الجانب الفلسطيني انتصر في هذه المعركة، وثبّت إلى جانب انتصاره قاعدة اشتباك جديدة، ستكون فاعلة ومؤثّرة في حماية حقوقه، وهي إسناد سلاح غزة للقدس والضفة، حمائياً. ومع أن ثمن هذه المعادلة قد يكون مرتفعاً، إلا أنها تستأهل التضحيات، وخاصة أنها تُفشل واحدة من أهمّ الاستراتيجيات الإسرائيلية ضد القضية الفلسطينية، وهي تشتيت أهداف الفلسطينيين وتطلّعاتهم، وفقاً لتقسيمهم الجغرافي.

المقاومة تنهي مشروع وأد القضية.. فلسطين البوصلة

إيهاب شوقي

بعد سنوات من الضباب المحيط بالقضية المركزية والركون الرسمي إلى وعود التسويات المفرطة، وحالة الإنهاك التي عانى منها الشعب الفلسطيني بفعل الحصار والخذلان، مضافا إلى ذلك انشغال الشعوب العربية والإسلامية بمصائبها وأزماتها الخاصة واستهدافها بالإرهاب والحصار، وتمكن أنظمة الحكم المفرطة من منابع ثقافتها ووجدانها ومحاولة تمرير أبجديات جديدة للصراع مخالفة للوجدان الشعبي.. شكلت الهبة الفلسطينية في كامل فلسطين المحتلة قيامة جديدة للقضية التي أريد لها التصفية على مستويات متعددة بين ما هو جغرافي وعملي، وما هو سياسي ووجداني.

وقد شكلت الانتفاضة المتناغمة بين القدس والضفة وغزة، إفشالًا لمخطط متناغم حاول تقسيم القضية جغرافيًا وخلق جزر منعزلة، لعلمه بمكانة القدس في القضية، فقام المخطط بخلق سلطة بعيدًا عن القدس، ثم تنازع على السلطة، بحيث يكون الصراع داخليًا لإفشال الوحدة وتشتيت الجهود من جهة، وترك القدس وحيدة من جهة أخرى.

وهنا كانت عبقرية هذه الانتفاضة، والتي أعلنت القدس بها أنها عصية على التهويد والابتلاع، وأثبتت الضفة بها أنها عصية على الفصل والاستسلام لمنطق السلطة وقيودها والتزاماتها بتنسيق أمني مع العدو وانفصالها وجدانيًا عن كامل فلسطين المحتلة، وأثبتت بها غزة أنها عصية على الحصار ومحاولات الشراء للتخلي عن المقاومة.

شكل هذا التناغم الفلسطيني المضاف إلى صمود محور المقاومة إبرازًا لتناقضات المعسكر الاستعماري وذيوله من المطبعين والمفرطين الذين ارتضوا وساعدوا على مخطط موهوم يسمى «صفقة القرن"!

هنا يمكن الاطمئنان الى القضية وحضورها والى مستقبلها وأن فلسطين تسير في طريقها السليم نحو الحرية، وأن زوال الكيان الصهيوني الحتمي بات قريبًا.

لكننا هنا بصدد الإطمئنان إلى الشعوب العربية واستعادتها لروحها المقاومة وعودة الزخم الطبيعي للقضية شعبيًا بعد سنوات من الخفوت.

قبل نحو عقد من الزمان كان هناك تنافس بين القوى السياسية على دعم القضية، وكان الموقف من القضية يشكل معيارًا للحكم على القوى السياسية وقواعدها الشعبية. وكان كذلك صراعٌ على توصيف القضية، بين أن تكون «فلسطين عربية» أم «فلسطين إسلامية». ورغم أننا لا نرى مبررًا للخلاف الذي أهدر كثيرًا من التوحد، حيث يرى معسكر عربية فلسطين أن أسلمة القضية يخرج المسيحيين العرب، بينما يرى معسكر إسلاميتها أن عروبة القضية تخرج الدول الإسلامية غير العربية من معسكر الأنصار، إلا أن التنافس على التوصيف كان يعكس التزاما بالقضية.

ونحن ممن يرون ان التوصيف يجب أن يكون «فلسطين حرة من النهر الى البحر»، وهي قضية كل الأحرار عربا وغير عرب، ومسلمين وغير مسلمين، فهي قضية تحرر وطني ومناهضة للاستعمار.

وحاليًا لا نرى هذا التنافس وهذا الزخم ولا فعاليات شعبية واحتجاجات إلا في دول محور المقاومة، وبعض الفعاليات النادرة في دول أخرى لا زال فيها بقية باقية من القوى السياسية التي تقاوم الأفول والاندثار.

ربما خلقت الأوضاع السياسية بعد ما سمّي بـ«الربيع العربي» صراعات داخلية ونتجت عنها أوضاع عملت على تصفية القوى السياسية والتي كانت محفزا للتضامن الشعبي وإعلانه الانتماء ونصرة القضية، ولكن الأوضاع الثقافية والغزو الإعلامي الخليجي والغربي القائم على التفاهة والإسفاف من جهة، وتزييف التاريخ والتكفير من جهة أخرى، كان له أكبر الأثر على الشعوب.

وهناك عامل آخر مسكوت عنه، وهو أن كثيرًا من القوى السياسية تم شراء ذممها وولائها سواء من الأنظمة المحلية، أو من الأنظمة الخليجية التي لها نفوذ في كل داخل عربي. فأصبحنا نرى قوى تدعي أنها قومية وهي تلعن المقاومة وتضعها في صف واحد مع العدو الاسرائيلي، وقوى تدعي الليبرالية، لا تبدي تعاطفًا حتى مع المستضعفين في فلسطين، وقوى يسارية لا تعتبر المقاومة تحررًا وطنيًا، فقط لأنها ترفع رايات إسلامية، وهو تفكير جامد لا يفرق بين يمين ويسار في الإسلام وفقًا حتى للمنطلقات الماركسية!

والراصد لنبض الشعوب، سواء في مواقع التواصل أو على مستوى الشارع العربي، يرى أن هناك بوادر مبشرة لاستعادة الزخم الشعبي للمقاومة.

وهذا الزخم يزداد مع كل صمود وكل مقاومة وتضحيات، وهو أمر طبيعي، فكلما اشتعلت المقاومة، كلما استنهضت ضمير الشعوب ومقاومتها الكامنة، بينما الركون إلى التسويات ووعودها يستدعي خمولًا وإهمالًا من الشعوب.

هذه الانتفاضة المباركة جاءت في موعدها المناسب وفي توقيت قاتل، لتكشف زيف دعاوي المطبعين الذين ادعوا أن التطبيع لصالح الفلسطينيين بينما كشفت الأحداث صمتهم وعجزهم وتخاذلهم.

وجاءت لتفرز القوى السياسية التي ادعت طويلًا التزامها بالقضية، لتبين الحر من المأجور والمرتزق. وجاءت لتؤكد صحة خيار المقاومة وسلامة طريق محورها وأنصارها. والأهم أنها جاءت لتؤكد ان العدو الصهيوني أوهن من بيت العنكبوت حيث انكشف جبنه وتهافت قبته الحديدية وتآكل ردعه وتداعت جبهته أمام الانتفاضة..